أق سنقر البر سقي ودوره في جهاد الصليبيين

(٥١٨-٥٢٠هـ \ ١١٢٤- ١١٢٦م)

إعـــداد

دكتور /عائشة بنت مرشود حميد الحربي
الأستاذ المساعد بالتاريخ الوسيط
جامعة طيبة / كلية الآداب والعلوم الإنسانية
المملكة العربية السعودية / المدينة المنورة

١٤٣٢هـ / ٢٠١١م

المقدمة

تعرض العالم الإسلامي في العصور الوسطى لعدوان صليبي خارجي،إذ تقاطرت جموع من المحاربين الصليبيين نحو المناطق الإسلامية متخذين الصليب شعارا لحروبهم ضد المسلمين .

فاشتد الصراع بين المسلمين والصليبيين مايقرب من قرنين من الزمان ،من أواخر القرن السادس حتى نهاية القرن السابع الهجري /من أواخر القرن الحادي عشر حتى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي.

فنجح الصليبيون في أعقاب الحملة الصليبية الأولى(٤٨٩هـ ١٠٩٥م) في تأسيس أربع إمارات صليبية على التوالي الرها وأنطاكية ثم بيت المقدس وأخيرا طرابلس .وبهذا ثبت الصليبيون أقدامهم في المنطقة الإسلامية ،لكنهم لم يهنئا كثيرا بهذا النصر،لان هذه الصدمة هزت أركان العالم الإسلامي ،فظهرت أصوات إسلامية تنادي بضرورة توحيد الجبهة الإسلامية لمواجهة هذا العدوان الصليبي ،فحملوا راية الجهاد المقدس ضد الصليبيون في فلسطين وبلاد الشام ،وفي مقدمتها المذبحة المروعة التي ارتكبتها الجيوش الصليبية عند استيلائهم على مدينة بيت المقدس ٤٩٣هـ١٠٩٩م.

وفي هذا البحث سنتعرض بالدراسة لدور الأمير أق سنقر البر سقي صاحب الموصل (٥١٨-٥٢٠هـ١١٢٤-١١٢٦م) في التصدي للصليبيين.

وسيعالج البحث عدة محاور من أهمها أحوال حلب السياسية قبيل عهد ابن البر سقي ، ودوره في الدفاع عن حلب وإقرار الجبهة الداخلية

ثم سعيه لتكوين جبهة إسلامية موحدة ومن ثم التصدي للصليبيين ومجابهة ملكهم بلدوين الثاني Baldwian ll(٥١٢-٥٢٥ هـ ١١١٨- ١١٣١م)

وتبادلا النصر والهزيمة في ذلك ،كما سنعرج على الهدن التي عقدت بين الجانبين وأثرها على الطرفين ،وقد انتهت حياة أق سنقر بأن قتل على يد جماعة من الباطنية سنة ٥٢٠هـ ١١٢٦م .

حلب في أواخر عهد السلاجقة :

بعد وفاة تاج الدولة تتش (٤٩٠هـ / ١٠٩٦م) آل حكم حلب إلى رضوان بن تتش . أما أخيه دقاق فقد تولى حكم دمشق . وهذا الأمر جعل الصراع بين الأخوين يشتد ويبدو واضحًا للعيان[١] . ولنا أن نتساءل عن أثر هذا الانقسام على الجبهة الإسلامية .

في الحقيقة أن هذا الانقسام قد وجد الصليبيون فيه الفرصة الثمينة لتوسيع نفوذهم في بلاد الشام ، كما وجد الفاطميون في هذا النزاع مجالاً لهم في استعادة مكانتهم في بلاد الشام إذ شجعوا الفتن والثورات ضد الأتراك السلاجقة في بعض مدن الشام ، وقدموا المساعدات لزعماء الحركة الانفصالية في مقابل إعادة الدعوة لهم ، وهذا جل ما يتمنون في سبيل مذهبهم[٢] .

وانتهى النزاع بين الأخوين بانتصار رضوان على أخيه دقاق سنة ٤٩٠هـ / ١٠٩٧م. وتم الاتفاق بين الأخوين على خطبة دقاق لأخيه رضوان في دمشق[٣] .

أما رضوان فقد تولى حكم حلب ، وكان يفضل الانفراد بالسلطة دون أي منافس، ولذا قام بالتخلص من أرباب النفوذ والخبرة في حلب .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج١٠، دار صادر ، بيروت ، ١٩٧٩م ، صـ ٢٦٩ ،سهيل زكار : مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ، بيروت ، ١٩٧٣م ، صـ ٢٣٣ .

(٢) المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ج٢ ، تحقيق الشيال، القاهرة،١٩٦٧م، صـ ٣٢٨ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، صـ ٢٦٩ ، اليافعي : مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٢، بيروت ، ١٩٧٠م ، صـ ١٤٥ .

وللباحث وقفة على أثر هذه السياسة على رضوان ومركزه السياسي في حلب[١] .

وفي الحقيقة أن هذه السياسة أثرت سلبًا على رضوان إذ أصبحت علاقته متوترة مع أمراء الشام ، وهذا جعله وحيدًا بدون أي قوة سياسية مساندة له ، وهذا يضعف موقفه السياسي ، ولذا اتجه رضوان لعقد حلف سياسي مع الخلفاء الفاطميين نظير أن يدعموه وهو يخطب في المساجد بإسمهم[٢] .

ولنا أن نتساءل عن سبب هذا التوجه لدى رضوان وآثاره وموقف الخلفاء الفاطميين منه بالرغم من اختلافهم في المذهب .

يرى الباحث أن رضوان بسبب سوء علاقته مع أمراء الشام لن يجد من يوافق على مساندته بسهولة ، إضافة إلى أنه لا يريد أن يرتبط بأي التزامات مع قوة إسلامية أخرى قد تلزمه أن يدخل في طاعتها ، وكذلك قد تفكر في السيطرة على حلب مستقبلاً ، كما أن الخلاف المذهبي بين الفاطميين وأمراء الشام قد نقدوا بل ونقموا على رضوان ومحالفته لمن خالف المذهب السني[٣] .

أما الفاطميين فقد وافقوا على هذا التحالف رغبة في أن يكون نواة لزيادة نفوذهم في بلاد الشام .

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، صـ ٢٥٥ .

(٢) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د (ت) ، صـ ١٤٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، صـ ٢٧٠ .

لكن هذا التحالف لم يثمر لأن الدولة الفاطمية لم تقدم له أي مساعدات تذكر ، كما أنها في الوقت ذاته كانت حريصة على تحقيق أطماعها في استغلال هذا التحالف لصالحها الشخصي[١] .

ولذا استدرك رضوان خطأه في التحالف الفاطمي فعمد إلى محالفة الباطنية[٢] ولنا أن نتساءل عن أثر هذا التحالف على الجبهتين الداخلية والخارجية ومدى استفادة الباطنية من هذا التحالف[٣] .

لقد غضب أهل حلب من رضوان ، كما أن القوى الإسلامية قد أحجمت عنه[٤] ، مما جعله يقف وحيدًا أمام القوات الصليبية ، كما أن سياسته السيئة وقفت حجر عثرة أمام الوحدة الإسلامية .

وفي سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣م توفي رضوان وسيطر على حلب لؤلؤ الخادم نظرًا لحداثة سن ابني رضوان ألب أرسلان وسلطان شاه[٥] . لكن

---

(١) مسفر الغامدي : الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، ط ١٩٨٦م ، صـ ٥٠ .

(٢) الباطنية : سموا بالباطنية لأنهم جعلوا لكل نوع من أنواع العقاب باطنًا ولكل تنزيل تأويل، وأن لظواهر القرآن والأحاديث بواطن . انظر الشهرستاني : الملل والنحل ، جـ١ ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ١٩٨٠م ، صـ١٩٢ ، ابن الجوزي : تلبيس إبليس، صـ ٩٢ ، القاهرة ، ١٩٢٨م .

(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ ٢ ، صـ ١٤٥ .

(٤) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ .

(٥) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، صـ ١٨٩ ، ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢، صـ ١٦٧ .

لؤلؤ تم اغتياله نظرًا لسوء سياسته سنة ٥١٠هـ/١١١٦م[١] فأضحت حلب مضطربة الأحوال، بل ومحط أنظار الصليبيين فأستنجد الأهالي بإيلغازي بن أرتق صاحب ماردين[٢]سنة٥١١هـ/١١١٧م[٣] ، وقد بذل إيلغازي الجهود العظيمة في سبيل إقرار أوضاع حلب الداخلية ، ثم أعلن الجهاد ضد الصليبيين وانتصر عليهم في معركة البلاط (ساحة الدم)[٤] .

Ager sanguine ٥١٣هـ / ١١١٩م . ولما توفي إيلغازي سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م ، قام بلك بن بهرام بجهاد الصليبيين فنجح عام ٥١٧هـ / ١١٢٣م في أسر الملك بلدوين الثاني ملك بيت المقدس

---

(١) ابن منقذ : الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، صـ ٧٦، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، صـ ٥١٢ .

(٢) ماردين : من ديار ربيعة وهي حصن من بلاد الجزيرة ، ولها قلعة منيعة وتقع بالقرب من نصيبين . انظر أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ، ط ١٨٥٠م ، صـ ١٧٩ ، القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د(ت) ، صـ ٢٥٩ .

(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ١٧٧ .

(٤) لمعرفة تفاصيل معركة البلاط انظر ابن القلانسي : مصدر سابق ، صـ ٢٠٠ – ٢٠٢ ، ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ١٨٩ . وليم الصوري : تاريخ الحروب الصليبية، ج٢ ، ترجمة حسن حبشي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٤م ، صـ ٣٥٢، فوشيه الشارتري : الوجود الصليبي في الشرق العربي ، ترجمة قاسم عبده ، ذات السلاسل ، الكويت ، ط١ ، ١٩٩٣م ، صـ ٢٧٠ ، عماد الدين خليل : الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠ ، صـ ٢٤٤ ، رينيه جروسيه: الحروب الصليبية ، ترجمة أحمد أيبش ، دار قتيبة ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٢م ، صـ ٥٩ ، هانس ماير: تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة عماد الدين غانم ، مجمع الفاتح للجامعات ، ليبيا ، ط ١٩٩٠م ، صـ ١٢٠، فايد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥م ، صـ ١٦٦ .

Baldwain II (٥١٢ – ٥٢٥هـ / ١١١٨ – ١١٣١م) وجوسلين أمير الرها[١] وتل باشر[٢] Joscelin count of the Eedssa (٥٠٦ – ٥٢٢هـ / ١١١٢ – ١١٣١م)[٣] . وبعد وفاة بلك عام ٥١٨هـ / ١١٢٤م. تولى أمر حلب تمرتاش بن إيلغازي

حلب في عهد تمرتاش بن إيلغازي :

لما آلت حلب إلى تمرتاش وافق على إطلاق سراح بلدوين الثاني أسر عام ٥١٧هـ/ ١١٢٣م فظل أسيرًا ما يقرب من ثمانية عشر شهراً[٤] . وذلك بفضل وساطة أمير شيزر[٥] العربي أبو العساكر سلطان بن منقذ[٦] ، وذلك مقابل مائة ألف

---

(١) الرها : من ديار مصر تقع على الجانب الشرقي الشمالي عن الفرات . انظر أبو الفدا: تقويم البلدان ، صـ ٢٧٧ .

(٢) تل باشر: قلعة حصينة وكورة واسعة في شمالي حلب . انظر الحموي : مصدر سابق ، م١ ، ص ٤٥١ .

(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٥٧٤ .

(٤) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ٢٢١ – ٢٢٢ ، وللوقوف على تفاصيل إطلاق سراح بلدوين الثاني انظر محمود عمران : القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١٩٨٦م ، صـ ٣٢.

(٥) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة وتعد في كورة حمص ، الحموي : مصدر سابق ، م٣، صـ ١٧١ .

(٦) ابن منقذ : الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م، صـ ٧٦ ، ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، صـ ٥١٢ .

بيزنت[١] ، وتقديم الرهائن ، بالإضافة إلى ما تعهد به الملك بلدوين الثاني من إعادة عزاز[٢] والأثارب[٣] وزردنا[٤].

والجزر[٥] وكفر طاب[٦] ، إلى إمارة حلب ، كذلك تعهد الملك الصليبي بمساعدة تمرتاش في إخضاع دبيس بن صدقة[٧] ، وهو أمير عربي شيعي نزح إلى الجزيرة بعد أن طرده الخليفة المسترشد العباسي من حكم الحلة[٨] بالعراق[٩] .

ويلاحظ من الشروط العديدة التي فرضت على الملك بلدوين الثاني نظير إطلاق سراحه المكاسب المتعددة التي سوف يحصل عليها تمرتاش من جراء تنفيذ تلك الشروط ، والتي تهدف في المقام الأول إلى توطيد حكمه في

---

(١) بيزنت : عبارة عن عملة ذهبية بيزنطية ، وسميت هكذا نسبة إلى بيزنطة أي القسطنطينية، وكان البيزنت متداولاً بكثرة في أوربا خلال العصور الوسطى حتى منتصف القرن الثالث عشر الميلادي ، انظر جوزيف نسيم: العدوان الصليبي على مصر، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ١٩٨١م ، صـ ٢١٦ ، حاشية رقم ٢.

(٢) عزاز : بليدة فيها قلعة في شمالي حلب . الحموي : مصدر سابق ، م٣ ، صـ ٣٢٤ .

(٣) الأثارب : قلعة معروفة بين حلب وأنطاكية بينهما وبين حلب نحو ثلاثة فراسخ . الحموي: مصدر سابق ، م١، صـ ٨٠ .

(٤) زردنا : بليدة من نواحي حلب الغربية، الحموي : مصدر سابق ، م٢ ، صـ ٤٧٢.

(٥) الجزر : كور من كور حلب . انظر الحموي : مصدر سابق ، م٢ ، صـ ٥٣ .

(٦) كفر طاب : بلدة بين المعرة ومدينة حلب . انظر الحموي : مصدر سابق ، م٣ ، صـ ١٤٤ .

(٧) Setton : Ahistory of the crusades . vol . ١, P. ٤٢٣ .

(٨) الحلة : قرية مشهورة على طرف دجيل بغداد . انظر الحموي: مصدر سابق ، م٢ ، صـ ١٧٦ .

(٩) ابن منقذ : الاعتبار ، صـ ٢٢٠، ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٩١ .

مدينة حلب ، ومن زاوية أخرى كانت موافقة الملك بلدوين الثاني على تلك الشروط أكبر دليل على ضعف موقفه ، وخاصة أنه يعلم تمامًا أنه سوف يتنازل عن مناطق ذات أهمية إستراتيجية لإمارة أنطاكية[١] .

ويرى الباحث أيضًا أن تمرتاش سيحصل على دعم مادي من الفدية وكذلك عسكري لمواجهة خصمه دبيس بن صدقة .

وعلى أساس هذه الشروط تم الإفراج عن الملك بلدوين الثاني ٥١٧هـ / ١١٢٣م ثم توجه إلى أنطاكية فقابله برناردي فالنس Bernard of valence بطريرك أنطاكية ، وأنكر عليه أن يتنازل عن شيء من أملاك أنطاكية بوصفه وصيًا عليها فداء لحريته[٢] .

لذلك أرسل الملك بلدوين الثاني رسالة إلى أمير حلب تمرتاش يستعطفه فيها أن يتنازل عن الشرط الخاص بتسليم عزاز وغيرها ، لكنه لم يتوصل إلى رد حاسم من قبل تمرتاش[٣] .

لذا أصبح الملك بلدوين الثاني متوترًا لا يدري كيف يدبر المال اللازم لافتدائه وفك رهائنه ، لذا استشار طائفة من رجاله الحكماء عن أحسن الطرق لإنجاز هذا الأمر . فأشاروا عليه بحصار مدينة حلب التي كانت تعاني إذا ذاك من قلة الطعام ، والتي كادت أن تكون خالية من سكانها ، وبينوا له أنه ربما يكون من اليسير على أهلها ، إذا اشتد الحصار عليهم ، أن يردوا

---

(١) ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي ، جـ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٦م، صـ ٣٠ ، صفاء عثمان : مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني ، دار العالم العربي ، القاهرة ، ط ٢٠٠٨م ، صـ ١١٦ ، عصام عبد الرؤوف : بلاد الجزيرة العربية في أواخر العصر العباسي ، دار الفكر العربي ، القاهرة، صـ ١٥٤ .

(٢) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٣ ، صـ ٤٤ .

(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٢٣ .

الرهائن عليه أو يدفعوا مبلغًا من المال يكافئ المبلغ الذي قبل الملك أن يدفعه ثمنًا لحريته[١] .

ولنا أن نتساءل عن موقف الملك بلدوين الثاني من هذه الفكرة . في الحقيقة لقد قوبلت هذه الفكرة بالرضا والقبول من قبل بلدوين الثاني، كما قرر أن يتحالف مع خصم تمرتاش وهو دبيس بن صدقة الشيعي منتهزًا فرصة الخلاف الذي قد اشتد بينهما[٢].

ولما عرض التحالف على دبيس بن صدقة فإنه لقي القبول الشديد وقد شجعهم على غزو حلب بمساندته حيث قال : "إن أهلها شيعة وهم يميلون إليّ، لأجل المذهب ، فمتى رأوني سلموا البلد إليّ"[٣] .

ولذا بذل الصليبيون الأموال لدبيس ووعدوه بأن يعطوه حلب إذا سيطروا عليها لأن الصليبيين يهدفون إلى إطلاق سراح الرهائن في حلب خاصة أن فيهم ابنة الملك بلدوين الثاني ، وجوسلين الثاني ابن جوسلين دي كورتناي أمير الرها[٤] .

ومن العرض السابق يدرك الباحث خطورة تفكك الجبهة الإسلامية ، وأن الأعداء يحرصون على استغلال نقاط الضعف لدى المسلمين ، بل ويسعون إلى توسيع فجوة الخلاف بينهم حتى يتحولوا إلى أعداء متنافرين وكل طرف يسعى إلى حرب وإبادة الطرف الآخر .

---

(١) وليم الصوري : مصدر سابق ، ج٢ ، صـ ٤٤ .

(٢) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ١٩٩٩م ، ج١، صـ ٤١٨ .

(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٠٠ .

(٤) ابن منقذ : مصدر سابق ، صـ ١٢٠ ، ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٢٣.

لذا فرض الحصار على حلب في سنة ٥١٨هـ / ١١٢٤م من قبل بلدوين الثاني وجوسلين دي كورتناي وبونز حاكم طرابلس Pons count of the Tripoli (٥٠٦ - ٥٣١هـ / ١١١٢ - ١١٣٧م) .

بالإضافة إلى تحالف القوات الإسلامية مع الصليبيين والممثلة في بني مزيد ، وسلطان شاه ابن الملك رضوان السلجوقي الذي عزله الأراتقة من ملكه في حلب[١] .

وهكذا برع الصليبيون في تفرقة صفوف المسلمين ، إذ ضرب العرب بالأتراك ، والشيعة بالسنة ، وهذه سياسة أي قوة استعمارية فرق تسد .

ولما فرضت القوات المتحالفة الإسلامية الصليبية حصارها على حلب كان تمرتاش في ماردين[٢] ينتظر وفاة أخيه سليمان ليرثه في ملكه[٣] .

ويعتبر حصار الصليبيين لحلب هذه المرة أول وأطول حصار منظم لهذه المدينة قاموا به حتى ذلك الوقت ، كما يعتبر صمود حلب نقطة تحول في حركة المقاومة الإسلامية[٤]. إذا قرر أهل حلب أن يستنجدوا بآق سنقر البرسقي أتابك الموصل لينقذهم[٥] .

---

(١) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٢٤ ، سعيد عاشور : مرجع سابق ، جـ١ ، صـ ٤١٩ ، صفاء عثمان : مرجع سابق ، صـ ١١٨ .

(٢) ماردين : من ديار ربيعة وهي حصن من بلاد الجزيرة ، ولها قلعة منيعة وتقع بالقرب من نصيبين . انظر أبو الفدا : تقويم البلدان ، باريس ، ط ١٨٥٠م ، صـ ١٧٩ ، القزويني : مصدر سابق ، صـ ٢٥٩ .

(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٢٤ .

(٤) محمد محمد الشيخ : الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، الإسكندرية، ط ١٩٧٢م ، صـ ٢٨٧.

(٥) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ ٢ ، صـ ٢٢٦ ، القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ط ، بغداد ، ١٨٨٢م ، صـ ٢٧٨ ، ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ، ج٥، دار صادر ، بيروت ، صـ ٢١٦ .

ولنا أن نتساءل لماذا استنجد أهل حلب بابن البر سقي دون غيره، لقد استنجدوا به لأنه في ذلك الوقت قد عينه السلطان محمود السلجوقي على الموصل ، وعهد إليه بجهاد الصليبيين . فمن المنطق أن يكون ابن البر سقي في أوج حماسه لمواصلة الجهاد ضد الصليبيين .

لذا ما أن وصلت ابن البرسقي رسل الاستغاثة حتى استعد لتلبية ندائهم، فانضم إليه في الرحبة[١] طغتكين أتابك دمشق ، وصمصام الدين خير خان بن قراجا صاحب حمص ، واتجهوا إلى حلب فوصلوها سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م. ولنا أن نتساءل لماذا لم يتجه ابن البرسقي مباشرة بقواته إلى حلب ولماذا تحالف معه أميري دمشق وحمص[٢] .

يرى الباحث أنه أراد أن يظهر أمام أعدائه بمظهر المؤيد بتحالف إسلامي كبير ، وفي الجانب الآخر تحالف معه القوى الإسلامية ، لأنه يحظى بتأييد السلطان السلجوقي ، وكذلك الخليفة العباسي المسترشد كما ذكرنا آنفًا.

وقد أصاب ابن البرسقي في تصرفه إذ لما قدم إلى حلب مع قواته المتحالفة انسحب حلفاء بلدوين – المسلمين – عنه . ولذا فضل بلدوين أن لا يدخل في مواجهة عسكرية مع ابن البرسقي وحلفائه فعاد سريعًا إلى بيت

---

(١) الرحبة : ناحية بين المدينة والشام قريبة من وادي القرى ، انظر الحموي : مصدر سابق، م٢ ، صـ ٣٩٤ .

(٢) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٦٤ .

المقدس[١] بقية بلاد المشرق حتى يسهل السيطرة على البلاد الشامية مستقبلاً .

وبالرغم من انسحاب الصليبيين من حلب فإن آق سنقر لم يهتم بمطاردتهم وإلحاق الخسائر بجيوشهم . ولنا أن نتساءل عن سبب ذلك .

في الحقيقة إن ذلك لم يكن تغافلاً من آق سنقر بل إنه ترك الجموع الصليبية ترحل دون مطاردة ، وذلك لأنه في مخططه العسكري يتضمن أن يفر الأمور في الجبهة الداخلية في حلب في المقام الأول ، ثم ينظم استعداداته العسكرية[٢] .

بعد ذلك أخذ مخططه الإسلامي يخرج إلى حيز التنفيذ فقام بسلسلة من الإصلاحات الإدارية والاقتصادية فنشر العدل والإحسان ، وأصدر أمرا بإلغاء المظالم والمكوس[٣] .

وقام ابن البرسقي بحلب المؤن والغلال إلى حلب حتى يخفف من حدة الغلاء الذي كانت تعاني منه ، وقام بتشجيع الناس على زراعة أراضيهم واستثمارها ، فانتعشت حلب اقتصاديًا ، وعم الرخاء فيها[١] .

---

(١) وليم الصوري : مصدر سابق ، ج٣ ، صـ ٤٦ ، ستيفن رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ج٢ ، ترجمة العريني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٩٣م ، صـ ٢٧٦

Nicholson, the Growth of the latin stats , P. ٤٢٤ .

(٢) إبراهيم محمد المزيني : إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين ، مطابع الحميضي ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٣م ، صـ ٢٣٣ .

(٣) ابن القلانسي : مصدر سابق ، صـ ٢١٢ ، أبو الفدا : المختصر ، جـ٢ ، ط٣ ، بيروت ، صـ ٢٢٨ ، ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٥ ، القاهرة ، ١٩٧٢م ، صـ ٢٢٨ .

حلب ومركزية الجهاد الإسلامي :

لقد استقرت أوضاع حلب الداخلية ، مما جعلها تأخذ دورها كمركز قيادي ضد الصليبيين وخاصة لما تم توحيدها مع الموصل .

بعد ذلك قام ابن البرسقي بإطلاق سراح أبناء سلطان بن منقذ صاحب شيزر الذين أخذوا كرهائن بدلا من الملك بلدوين الثاني[٢] .

ولعلنا نتساءل عن هدف ابن البرسقي من هذا العمل . يرى الباحث أنه أراد أن يتقرب ابن البرسقي بهذا العمل لابن منقذ حتى يحدث بينهم تحالف في المستقبل بغرض مكافحة الوجود الصليبي في الأراضي الإسلامية، كما أنه لا فائدة ترجى من أسر أبناء ابن منقذ[٣].

جهود ابن البرسقي في التوحيد والتحرير :

قام ابن البرسقي بسلسلة من الزيارات لأمراء الشام إذ خرج من حلب في محرم سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م إلى تل السلطان[٤] ومنها سار نحو شيزر في صفر ٥١٩هـ / ١١٢٥م ، ثم توجه ابن البرسقي نحو حماة ، وهناك قدمت إليه قوات طغتكين حاكم دمشق ، كما انضم إليه خير خان ابن قراجا صاحب حمص[٥] .

ولنا أن نتساءل عن أهداف ابن البرسقي من هذه التحركات . في الحقيقة أن البرسقي أراد أن يظهر أمام الصليبيين بمظهر زعيم الجهاد ،

---

(١) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣٠ .

(٢) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣١ .

(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣١ .

(٤) تل السلطان : موضع بينه وبين حلب مرحلة نحو دمشق ، وهو المعروف بالفنيدق ، الحموي : مصدر سابق ، م١ ، صـ ٤٥٢ .

(٥) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣١ .

وأنه قادر على الحرب والصدام معهم في أي وقت مما يوقع الرعب في قلوب الصليبيين.

على أي حال قامت القوات الإسلامية المتحالفة بمهاجمة كفر طاب ونجحوا في الاستيلاء عليها ثم منحها ابن البرسقي لخير خان صاحب حمص[١] .

وللباحث وقفة على هدف ابن البرسقي من مهاجمة كفر طاب وتسليمها لابن قراجا وأثر ذلك على ابن البرسقي .

لعل الباحث يرى أن خطة ابن البرسقي في تقويض النفوذ الصليبي بداية من المراكز الضعيفة التحصين والأقرب لحلب حتى يحقق لها الحماية وكذلك حتى يمهد الطريق لمهاجمة أنطاكية بعد ذلك ، وقد سلمها لقراجا مكافأة لاشتراكه معه في فتح كفر طاب ، فضلاً عن أن كفر طاب الأقرب لحمص أكثر من حلب . وكذلك لأن البرسقي في الوقت الراهن لا يتطلع إلى توسيع دائرة مملكته .

وعن تطور الأحداث بعد ذلك فقد تشجع البرسقي على مواصلة جهاده ضد الصليبيين فسار نحو زردنا ففرض الحصار عليها[٢] .

ولنا أن نتساءل عن ردة فعل الملك بلدوين الثاني تجاه تحركات ابن البرسقي السابقة .

في الحقيقة لما علم الملك بلدوين الثاني بحصار ابن البرسقي لزردنا عزم على التصدي له وطلب النجدة من بونز أمير طرابلس وجوسلين أمير

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١ ، صـ ٦٢٨ ، فوشيه الشارتري : مصدر سابق ، صـ ٣٢٢

(٢) ابن الأثير : الكامل ، جـ١ ، صـ ٦٢٨ .

الرها فوصلته إمدادات تقدر بألف ومائتي فارس ، وألفين من الرجالة ، فسار بهذه القوات نحو زردنا حتى يجبر البرسقي على الانسحاب[١] .

ولنا أن نتساءل عن موقف ابن البرسقي لما علم بقدوم القوات الصليبية المتحالفة .

قام ابن البرسقي بفك الحصار عن زردنا وفرض الحصار على عزاز لأنها أقل حصانة من زردنا[٢] .

وقد عمد ابن البرسقي لذلك التصرف لأن عزاز تابعة لجوسلين صاحب الرها ، وهذا بمثابة وسيلة ضغط على جوسلين حتى تنفك القوات الصليبية المتحالفة[٣] .

أما قوات الملك بلدوين الثاني المتحالفة فإنها اتجهت نحو عزاز وقاموا بتنظيم جيشهم على ثلاث أقسام هي الميمنة وتتألف من كبار رجال أنطاكية والميسرة بقيادة كونتي الرها وطرابلس . أما القسم الثالث وهو القلب فكان عليه الملك بلدوين الثاني ، وقد بلغ عسكرهم جميعًا ألفا ومائة من الفرسان وألفين من المشاة . ومنظمة في ثلاثة عشرة كتيبة[٤] .

أما ابن البرسقي فبلغت قواته خمسة عشر ألف نظمها في عشرين كتيبة والتحم الجيشان في قتال وكانت الغلبة للصليبيين .

---

(١) وليم الصوري : مصدر سابق ، ج٣ ، صـ ٤٧ ، ستيفن رنسيمان : مرجع سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٧٧ .

(٢) وليم الصوري : مصدر سابق ، ج٣ ، صـ ٤٧ .

(٣) وليم الصوري : مصدر سابق ، ج٣ ، صـ ٤٧ .

(٤) فوشيه الشارتري : مصدر سابق ، صـ ٣٢٤ .

وهزمت قوات ابن البرسقي هزيمة منكرة . وقدر ابن الأثير قتلى المسلمين بأكثر من ألف مقاتل[١] .

ونلاحظ أن المصادر الإسلامية لم تذكر إلا عدد القتلى . أما عدد الجيش الإسلامي فلم يذكر أما المصادر الأوربية وخاصة وليم الصوري[٢] فقد ذكر عدد الجيوش في الجانبين الإسلامي والصليبي لكن يؤخذ عليه المبالغة في الأعداد لإظهار الفرق بين القوتين في العدد والعتاد . ولعل هدفه من هذه المبالغة أن يظهر عظمة القوات الصليبية وأنها قادرة على الانتصار بالرغم من قلة عددها .

كما أننا نلاحظ من وصف وليم الصوري لتنظيم الجيش الصليبي أنهم قد تأثروا بالخطط العسكرية لدى المسلمين فهذا التقسيم قد عرفه المسلمون منذ عهد الرسول ﷺ . كما ندرك براعة ابن البرسقي – بالرغم من فشله – في تنظيم جيشه حيث اعتمد على خطة أخرى وهو نظام الكتائب[٣] .

وفي تقدير الباحث أن السبب الرئيسي في هزيمة ابن البرسقي هو عنصر المفاجأة إذ لم يكن يتوقع أن تلحق به القوات الصليبية والتي قدمت من أجل إنقاذ أنطاكية وأملاكها. ولم يكن الوقت كافيًا لديه لتنظيم جيشه وتوزيعه بل لجأ سريعًا إلى نظام الكتائب .

وقد اختلفت مبررات المؤرخين القدماء والمحدثين في تبرير هذه الهزيمة فمنهم من يرى أن القوة الهائلة للجيش الصليبي هي السبب

---

(١) ابن الأثير : الكامل ، جـ١٠ ، صـ ٦٢٨ .

(٢) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٣ ، صـ ٤٧ .

(٣) عن الخطط العسكرية الإسلامية انظر محمد فرج : المدرسة العسكرية الإسلامية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، د (ت) .

الرئيسي في انتصار الصليبيين[١] . والبعض يرى أن تقدم الصليبيون في نوع السلاح قد عوض نقصهم العددي[٢] .

ويطق الباحث على هذا الرأي بأنه لم يرد في المصادر الإسلامية عدد القوات الصليبية ومدى ضخامتها . لكن في تقديري أن خطتهم العسكرية قد زادتهم قوة ، بالإضافة إلى أن القوات الصليبية كانت في أوج نشاطها وذروة قوتها إذ لما اتحدت توجهت مباشرة إلى عزاز . أما ابن البرسقي فإنه استنزف جزء من قوته أثناء استيلاءه على كفر طاب ثم حصار زردنا . بل أن ابن العديم وصف قوات ابن البر سقي المتجهة إلى كفر طاب بأنها لا تحد كثرة[٣].

وقد علل أحد المؤرخين المحدثين سبب هذه الهزيمة أنها جاءت نتيجة لتخاذل طغتكين الذي راودته المخاوف من عودة إمارة الموصل – التابعة للسلطنة السلجوقية في العراق – إلى التدخل في شؤون الشام . والدليل على ذلك أن قوات طغتكين التي اشتركت في هذه المعركة جاءت في طليعة المنهزمين[٤] .

ويرى الباحث أن هزيمة جند طغتكين في المعركة ليست دليلاً كافيًا على تخاذل طغتكين لأنه لو عزم التخاذل لما خرج بقواته مع ابن البرسقي ، كما أن هزيمة جنده في المعركة تعد بمثابة وصمة العار له ، هذا بالإضافة إلى أنها هزت ميزان قوته العسكرية أمام أمراء الشام المسلمين ، وكذلك

---

(١) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣١ .
(٢) ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، صـ ٦٢٨ .
(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣١ .
(٤) إبراهيم المزيني : مرجع سابق ، صـ ٢٣٦ .

الصليبيين ، كما أن خسارته لعدد كبير من جنده في هذه المعركة ليس من السهولة بمكان تعويضها .

ولو سلمنا جدلاً بتخاذله فإن هناك مبررات أخرى بل وأقوى تدفعه للتخاذل وهو و جود علاقات دبلوماسية بينه وبين الصليبيين منذ عهد الملك السابق بلدوين الأول Baldwian I (٤٩٤ – ٥١٢هـ / ١١٠٠ – ١١١٨م)، اقتضت هذه العلاقة أن يدخلا في معاهدات صلح[١] .

وغنم الملك بلدوين الثاني من هذه المعركة الغنائم الوفيرة ، إذا استطاع أن يسدد باقي فدية إطلاق سراحه[٢] .

ثم توجه ابن البرسقي إلى حلب وفي طريقه أقام في قنسرين[٣] أياما[٤] . ولنا أن نتساءل عن أسباب هذه الإقامة في قنسرين .

ولعل الباحث يقدم لذلك عدة تبريرات، فلعل ابن البرسقي أراد أن يلتقط أنفاسه من الهزيمة التي لحقت به عند عزاز ، فضلاً أنه أراد أن يلم شعث قواته المنكسرة ويعيد تنظيمها فيدخل إلى حلب بصورة القوي الذي لم تكسره الهزيمة العسكرية ، خاصة أن قنسرين منذ عهد الأراتقة تعتبر بمثابة المرفأ العسكري لهم .

---

(١) عن العلاقات الدبلوماسية والمعاهدات بين طغتكين وبلدوين الأول . انظر ستيفن رنسيمان : مرجع سابق جـ٢ ، صـ ١٥٦ – ١٥٧ .

(٢) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٣ ، صـ ٤٦ .

(٣) قنسرين : كورة بالشام مها حلب ، وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص بقرب العواصم . الحموي : مصدر سابق ، م٤ ، صـ ٩٣ .

(٤) ستيفن رنسيمان : مرجع سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٧٧ .

ثم توجه إلى حلب ثم قام بعزل واليها ساوتكين وولى بدلاً منه صارم الدين بابك بن طلماس[١] .

ولنا أن نتساءل عن أسباب تغيير والي حلب في هذا الوقت . في الحقيقة لم أجد في أي مصدر تبريرا لهذا التغيير وفي تقدير الباحث أن له عدة مبررات لعل من أهمها أن آق سنقر أراد أن يظهر أمام أهل حلب بأنه الوالي الحقيقي لهم ومنازل مهتمًا بإقرار أمورهم وأمنهم الداخلي ، وأن هزيمته لن تجعله يتخاذل عنهم ، وربما رأى في صارم الدين القوة والخبرة أكثر من ساوتكين ، خاصة أنه قد يتبادر إلى الصليبيين بسبب نشوة نصرهم أن يفكروا بالسيطرة على حلب ، وإذا نفذوا هذه الفكرة فإن صارم الدين سيكون في أوج قوته ونشاطه فلن يدخر جهداً في الدفاع عن حلب .

وعن سير الأحداث بعد ذلك ، فقد سعى الصليبيون بالرغم من انتصارهم في عزاز إلى عقد هدنة مع ابن البرسقي ، ويطلبون منه الصلح حيث تمت بينه وبين الصليبيين هدنة يكون فيها الخراج المستمد من جبل السماق[٢] مناصفة بينهم ، وكذلك باقي المواقع التي تنازع عليها الطرفان ، فتم عقد الهدنة بينهما[٣] .

ولنا وقفة على أسباب مبادرة الصليبيين بطلب الهدنة بالرغم من انتصارهم وأسباب موافقة ابن البرسقي على عقد الهدنة .

---

(١) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣١ .

(٢) جبل السماق : جبل عظيم من أعمال حلب الغربية يشتمل على مدن كثيرة وقرى وقلاع ، وسمي بذلك لكثرة ما ينبت فيه من السماق . الحموي : مصدر سابق ، م٢ ، صـ ٢٩.

(٣) ستيفن رنسيمان : مرجع سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٧٧ .

لقد رغب الملك بلدوين الثاني في عقد الهدنة رغم انتصاره لعدة أمور أهمها أنه لن يستفيد كثيراً من ازدياد توسعات إمارة أنطاكية ، ومن الأفضل له أن يدخر جهده لتوسيع نفوذ مملكته في بيت المقدس ، كما أن طغتكين في دمشق لا يكف عن مهاجمته بين الحين والآخر .

ويضاف إلى ذلك سبب آخر وهو رغبة الملك بلدوين الثاني في تخليص بعض الرهائن الصليبيين وخاصة ابنته وابن جوسلين أمير الرها ، ولعل هذا ما جعل ابن البرسقي قويًا رغم هزيمته في عزاز ، وساعده في الحصول على بعض المكاسب من الهدنة[١] .

وفي تقدير الباحث أن الملك بلدوين الثاني كان لا يرغب بالبقاء طويلاً بعيدا عن مملكة بيت المقدس خوفًا من أن تتعرض مملكته لأي عدوان خارجي، أو أن تحدث ثورة داخلية ضده ، خاصة أنه حديث العودة إلى بلاده بعد ما أطلق المسلمون سراحه من الأسر عام ٥١٧هـ / ١١٢٣م[٢].

أما ابن البرسقي فكان يرغب فيها ليتوجه إلى الموصل لجمع العساكر، ومعاودة قتال الصليبيين مرة أخرى[٣] .

ومن وجهة نظر الباحث أن ابن البرسقي أدرك أنه من الصعب على جنده بعدما كسروا في معركة عزاز أن يدخلوا مباشرة في مواجهة عسكرية أخرى مع الصليبيين ، هذا فضلاً أن خروجه من حلب إلى الموصل يعطيه

---

(١) عبد الغني زهرة : الهدن والمفاسخات ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٦م ، صـ ٤٢.

(٢) فوشيه الشارتري : مصدر سابق ، صـ ٣٢٦ .

(٣) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٢١ ، ابن الأثير : الكامل ، ج١٠ ، صـ ٦٢٩ .

الثقة بالنفس ويقوي زعامته كمجاهد مسلم تولى قيادة الجهاد المقدس ضد الصليبيين ، وأنه لم يتأثر بهزيمة عزاز ، خاصة أن يحظى بدعم وتأييد الخليفة العباسي .

وقد تضمنت الهدنة التي عقدت عام ٥١٩هـ / ١١٢٥م ، الإفراج عن رهائن الصليبيين مقابل دفع المبلغ الباقي من الفدية ويحتفظ المسلمون بحصن كفر طاب ومدته ثمانية عشر شهرا[١] .

وعن تطور الأحداث بعد ذلك فإن الملك بلدوين الثاني قام بمهاجمة دمشق إمارة طغتكين .

ولنا أن نتساءل عن سبب توجه الملك بلدوين الثاني نحو إمارة دمشق.

لقد توجه لضرب دمشق وذلك بغرض تأديب طغتكين الذي كان يشن الغارات على مملكة بيت المقدس[٢] .

وفي تقدير الباحث أن الملك بلدوين الثاني له أغراضًا أخرى فهو يهدف إلى تمزيق التحالف الإسلامي بفصل دمشق عن حلب والموصل وهذا مما يضعف الجبهة الإسلامية .

وقد حدثت معركة بين الملك بلدوين الثاني وطغتكين ، انتهت بهزيمة الأخير ، ومقتل عدد كبير من جنوده ، ثم قفل الملك بلدوين الثاني راجعًا إلى مملكة بيت المقدس[٣] .

---

(١) صفاء عثمان : مرجع سابق ، صـ ١٢١ .

(٢) عبد الغني زهرة : مرجع سابق ، صـ ٤٤ ، رنسيمان : مرجع سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٧٨ .

(٣) للوقوف على تفاصيل المعركة انظر وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٣ ، صـ ٥١ – ٥٤ .

ونلاحظ أن الصليبيين لم يحترموا هدنتهم مع ابن البرسقي ، إذ منعوا المسلمين من جني محاصيلهم من الأراضي التي نصت عليها شروط الهدنة أن تكون مناصفة[١] . كما هاجم بونز أمير طرابلس قلعة رفنية[٢] عام ٥٢٠هـ / ١١٢٦م والتي قد سبق أن سيطر عليها المسلمين عام ٥١٩هـ / ١١٢٥م . فشيد بونز قلعة بعرين[٣] على مقربة من رفنية لتكون قاعدة لشن الغارات على هذه المدينة .وبالتالي تضعف قوتها فتسقط[٤] .

ولنا أن نتساءل عن أسباب اختيار بونز مهاجمة رفنية دون غيرها ، وللإجابة على هذا التساؤل نستطيع أن نقول إنه اختار هذه المدينة لأنها ضعيفة التحصين بسبب موقعه الطبيعي ، وقلة عدد سكانها[٥] ، كما أن الاستيلاء على رفنية يجعل الطريق بين بيت المقدس وإمارتي أنطاكية وطرابلس آمنا[٦] . وفي تقدير الباحث أن هناك أسباب أخرى وفي مقدمتها أهمية موقعها فهي تشرف على أطراف وادي نهر العاصي فيما بين حماة وحمص ، كما أنها تابعة لطغتكين الحليف الأقوى لابن البرسقي ، فضلاً إلى اتخاذها قاعدة عسكرية لضرب حمص لأن صاحبها ابن خير خان حليف لابن البرسقي .

---

(١) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٣ ، صـ ٥٠ ، رنسيمان : مرجع سابق ، جـ ٢ ، صـ ٢٧٩ .

(٢) رفنية : كورة ومدينة من أعمال حمص ، الحموي: مصدر سابق ، م٢ ، صـ ٤١١

(٣) بعرين : بليدة بين حمص والساحل . انظر الحموي : مصدر سابق ، م١ ، صـ ٣٥٧ .

(٤) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٣ ، صـ ٥٥ .

(٥) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٣ ، صـ ٥٥ .

(٦) سعيد عاشور : مرجع سابق ، جـ١ ، صـ ٤٢١ .

ولتحقيق هذه الأهداف لم يتردد بونز في طلب المساعدة من الملك بلدوين الثاني ، والذي وافق على طلب بونز ، وخرج بجيشه نحو رفنية[١].

وهكذا ندرك أن الصليبيون بتحركاتهم السابقة يهدفون إلى تدمير التحالف الإسلامي .

ولما اشتد الحصار على رفنية خاصة بعد وصول الملك بلدوين الثاني طلب النجدة حاكمها شمس الخواص من طغتكين أتابك دمشق ، وابن البرسقي أتابك حلب والموصل .

لكن مما يؤسف له أن رفنية لم تستطيع المقاومة حتى تصلها الإمدادات العسكرية ، لذا استسلمت بعد حصار ثمانية عشر يومًا وكان ذلك في صفر سنة ٥٢٠هـ / ١١٢٦م. وهذا الانتصار شجع الصليبيين فقاموا بمهاجمة المناطق الزراعية المحيطة بحمص ، فلما علم ابن البرسقي بذلك أرسل لهم قوة عسكرية لمجابهتهم بقيادة ابنه مسعود[٢] .

ولنا أن نتساءل عن أسباب عدم خروج ابن البرسقي بنفسه لإنقاذ حمص في الحقيقة أن لهذا الأمر من وجهة نظر الباحث ما يبرره فإن ابن البرسقي لما أرسل ابنه مسعود أراد أن يتصرف كزعيم الجهاد الإسلامي ، فهو يختار القائد ، ويحدد له اتجاهاته العسكرية ، كما أنه يريد أن يدرب ابنه مسعود على مجابهة الصليبيين ليتسلم راية الجهاد من بعده ، والأهم من ذلك كله أن ابن البرسقي سبق أن وصلته رسل أهل رفنية المستنجدة ، فهو مشغولاً بتجهيز قواته لإنقاذ رفنية .

---

(١) وليم الصوري : مصدر سابق ، ج٣ ، صـ ٥٦ .

(٢) ابن العديم : مصدر سابق ، ج٢ ، صـ ٢٣٢ .

بعد ذلك خرج ابن البرسقي بجنوده من الموصل إلى حلب لجهاد الصليبيين ، فسار إلى أن وصل إلى الناعورة[١] وأقام بها عدة أيام وفي تلك الآونة وصلته رسل جوسلين أمير الرها تطلب عقد الهدنة على أن تكون الضياع التي بين عزاز وحلب مناصفة بين الطرفين، وأن يكون القتال بينهما على هذا الحال[٢].

ولنا وقفة على عدة تساؤلات لعل في مقدمتها لماذا لم يبادر ابن البرسقي بمهاجمة جوسلين ، ولماذا بادر جوسلين بطلب الهدنة من ابن البرسقي .

يرى الباحث لهذه التساؤلات عدة مبررات من أهمها أن ابن البرسقي لا يرغب في قتال جوسلين حتى لا تتبدد جيوشه ، وأنه أراد فقط أن يوقع الرعب في قلوبهم حتى يطلبوا الصلح ، فضلاً أنه خشي من نتائج الاصطدام المباشر أن يمتد إلى عقر حلب ، وهذا ما لا يريده ابن البرسقي في الوقت الراهن ، لأنه كلما كانت حلب آمنة كلما تدعمت الوحدة الإسلامية بين حلب والموصل ، فضلاً عن ذلك كله أن ابن البرسقي يأمل أن تدعم قواته بمساعدات أخرى من الأمراء المسلمين . كما أن الهدف الرئيسي لخروج ابن البرسقي بقواته هو مهاجمة أنطاكية ليخفف الحصار الصليبي على رفنية.

أما جوسلين فإنه خشي أن يتقابل مع قوات ابن البرسقي وحيداً بدون مساندة بقية القوات الصليبية المتحالفة ، ولذا فضل أن يبادر بطلب الصلح ، على الأقل يحصل على بعض الامتيازات بل والمكاسب الاقتصادية خيراً له من الخروج من الساحة بلا غنائم ولذا اشترط المناصفة على ضياع عزاز .

---

(١) الناعورة : موضع بين حلب وبالس . الحموي : مصدر سابق ، م٤ ، صـ ٣٦٣ .
(٢) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣٢ .

على أي حال بعد أن أمن ابن البرسقي جانب جوسلين اتجه صوب الأثارب عام ٥٢٠هـ / ١١٢٣م . كما نجح في الاستيلاء على حصن الدير بعد ذلك نهبت عساكره الغلال التي في المزارع التابعة للصليبيين وأرسلت إلى حلب[١] .

ولعل ابن البرسقي يهدف إلى الاستيلاء على العديد من الحصون حتى يقوي بها مركزه ويرسل الغلال إلى حلب ليدعهما اقتصاديًا .

وقد هدف ابن البرسقي من مهاجمة الأثارب التابعة لإمارة أنطاكية أن يجبر الملك بلدوين الثاني على فك الحصار عن رفنية بل وإعادتها للمسلمين بعد ما سقطت في أيدي الصليبيين[٢] .

ولنا أن نتساءل عن موقف الصليبيين من تحركات ابن البرسقي السابقة.

لقد تحالف الملك بلدوين الثاني مع جوسلين الثاني كونت الرها لإنقاذ الأثارب فنزلا على حصن أرتاح[٣] ، وحرصا على عدم الاشتباك مع ابن البرسقي لخوفهما منه[٤] .

ولنا أن نقف عند الأسباب التي أدت إلى خوف الصليبيين من ابن البرسقي من أهم هذه الأسباب أن ابن البرسقي يحظى بتأييد السلطنة السلجوقية وأيضًا الخلافة العباسية ، كما أنه استولى على حلب وضمها

---

(١) ابن العديم: مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣٣ ، العظيمي : تاريخ حلب ، دمشق ، ١٩٨٤م ، صـ ٣٧٦ .
(٢) سعيد عاشور : مرجع سابق ، ج١ ، صـ ٤٢٢ .
(٣) أرتاح : اسم حصن منيع كان من العواصم من أعمال حلب ، انظر الحموي : مصدر سابق ، م١ ، صـ ١١٨ .
(٤) وليم الصوري : مصدر سابق ، ج٣ ، صـ ٥٦ .

للموصل فكون جبهة جهاد إسلامية متحدة ، كما أنه استولى على بعض من الحصون والمراكز القوية ، وهذا مما زاده قوة في نظر أعدائه[١] .

وللأسباب السابقة أرسل الصليبيون إلى ابن البرسقي قائلين : "ترحل عن هذا الموضع، ونتفق على ما كنا عليه في العام الخالي ، ونعيد رفنية عليك"[٢].

من رسالة الصليبيين السابقة نلاحظ أنهم ركزوا في مطالبهم على ما يدعمهم اقتصاديًا ، أما تنازلهم عن رفنية فمن باب المداهنة والخداع ، لأن هذه المدينة لا تمثل له قوة إستراتيجية لذا عرضوا التنازل عنها .

وقد بادر الصليبيون بطلب الصلح لمهاجمة الأسطول الفاطمي لموانئ فلسطين الصليبية، ولذا أضحى الملك بلدوين الثاني بين فكي الكماشة[٣] ، وعن موقف ابن البرسقي من العرض السابق فإنه وافق على العرض لأنه لا يريد الاصطدام مع الصليبيين خشية أن يلحق بهم هزيمة منكرة[٤] .

وعن تطور الأحداث بعد ذلك فإن ابن البرسقي رحل عن الأثارب ، وهذا مما شجع الملك بلدوين الثاني على التراجع في شروط الصلح حيث قال: "ما نصالح إلا على أن تكون الأماكن التي ناصفنا فيها في العام الماضي لنا دون المسلمين"[٥] .

---

(١) فايد عاشور : مرجع سابق ، صـ ١٧١ ، سعيد عاشور : مرجع سابق ، جـ١ ، صـ ٤٢٠.

(٢) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ ٢ ، صـ ٢٣٤ .

(٣) وليم الصوري : مصدر سابق ، جـ٣ ، صـ ٥٦ .

(٤) إبراهيم المزيني : مرجع سابق ، صـ ٢٣٩ .

(٥) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣٤ .

ومن النص السابق نستطيع أن ندرك أن طلب الملك بلدوين الثاني في تعديل بنود الصلح مع ابن البرسقي جاء بناء على إحساسه بضعف ابن البرسقي لأنه وافق على الصلح .

لكن ابن البرسقي رفض هذا العرض المجحف بالمسلمين ، لذا حاول الطرفان الوصول إلى اتفاق بينهما عن طريق تبادل السفارات الدبلوماسية لكن السفارات لم تصل إلى أي اتفاق بينهما[١] .

بعد ذلك عاد ابن البرسقي بقواته إلى قنسرين . ونلاحظ أن ابن البرسقي لا يطيل المكث في حلب ، وذلك خوفًا من أن يعود الصليبيون إلى حصارها .

وفي تلك الأثناء قدمت قوات طغتكين حاكم دمشق ، واتحدت مع قوات ابن البرسقي[٢] ، فاتجها لمهاجمة سرمين[٣] ومنها إلى دانيث[٤] التابعة للصليبيين . ونتيجة لذلك عسكر الصليبيون في معرة مصرين[٥] وحدثت بين الجانبين غارات خاطفة لم تسفر عن أي نتيجة حاسمة ، لذا رحل الصليبيون

---

(١) إبراهيم المزيني : مرجع سابق ، صـ ٢٣٩ .

(٢) ابن العديم : مصدر سابق ، جـ٢ ، صـ ٢٣٤ .

(٣) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب ، الحموي : مصدر سابق ، م٣ ، صـ ٤٢

(٤) دانيث : بلد من أعمال حلب وهي بين حلب وكفر طاب، انظر الحموي : مصدر سابق ، م٢ ، صـ ٢٨٥ .

(٥) معرة مصرين : بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها بينهما نحو خمسة فراسخ . انظر الحموي : مصدر سابق ، م٤ ، صـ ٢٨٧ .

إلى بلادهم ، كما عاد طغتكين إلى دمشق ، وكذلك عاد ابن البرسقي إلى حلب ثم ترك ابنه مسعود نائبًا عنه في حلب ، وعاد هو إلى الموصل[١] .

ويظهر من احتكاك ابن البر سقي بالصليبيين تخوف كل منهما من الآخر ، ولعدم ثقة كل منهما بما لديه من قوات ، فلم يحصل بينهما بعد معركة عزاز سنة ٥١٩هـ / ١١٢٥م . أي مواجهة قوية تتضح بعدها الرؤية حيث عمد ابن البرسقي إلى مناوشتهم عن طريق الغارات الخاطفة ، ومن ثم العودة إلى بلاده[٢] .

وفي تقدير الباحث أن الغرض من الغارات الخاطفة هو استعراض القوات بمناورات عسكرية لإرهاب العدو دون الدخول في اشتباكات حاسمة، لكنه نجح في إيقاف ضغط الصليبيين على حلب ، بل وأدخلها في وحدة مع الموصل .

وعلى أي حال لما عاد ابن البر سقي إلى الموصل في ذي القعدة سنة ٥٢٠هـ / ١١٦م . تم اغتياله على يد ثمانية من الباطنية[٣] .

وفي الحقيقة عن البلاد الإسلامية قد خسرت أحد زعماء الجهاد الإسلامي بمقتل ابن البرسقي والذي لم يتخاذل قط عن مجابهة العدوان الصليبي الجاثم على البلاد الإسلامية .

---

(١) ابن العديم : مصدر سابق ، ج٢ ، صـ ٢٣٤ .

(٢) إبراهيم المزيني : مرجع سابق ، صـ ٢٣٩ .

(٣) ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات ، ط القاهرة ١٩٦٣م ، صـ ٣١ ، ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، تحقيق الشال ، جـ١ ، صـ ٣١ .

الخاتمة

لقد تمثلت الدراسة في عدة محاور

- أوضحت الدراسة اثر الخلاف بين الأخوين دقاق ورضوان بن تتش على الوحدة الإسلامية
- ألقت الدراسة الضوء على حلب وأوضاعها السياسية بعد وفاة رضوان وسيطرة لؤلؤ الخادم على ابنيه .
- أشارت الدراسة بشئ من الإيجاز إلى أوضاع حلب السياسية في عهد الاراتقة ودورهم في محاربة الوجود الصليبي .
- ذكرت الدراسة شروط إطلاق سراح الملك بلدوين الثاني في عهد تمرتاش بن ايلغازي وثمارها.
- تناولت الدراسة هدف الملك بلدوين الثاني من حصار حلب والأطراف المتحالفة معه من الجانبين الإسلامي والصليبي .
- وقفت الدراسة على دور ابن البر سقي في توحيد حلب مع الموصل لتكون جبهة موحدة ضد الصليبيين مع ذكر العوامل التي أظهرت ابن البر سقي زعيما للجهاد الإسلامي .
- تناولت الدراسة بالمناقشة والتحليل والتوضيح لكثير من أعمال أق سنقر البر سقي وخاصة المواقف السياسية والعسكرية على حد سواء.
- تعرضت الدراسة لتحالف بعض الأمراء المسلمين مع ابن البر سقي وما نتج عنها من أعمال عسكرية ضد الصليبيين ودور الملك بلدوين الثاني في التصدي لهم .

- أوضحت الدراسة بشئ من التفصيل اللقاء الحاسم بين الملك بلدوين الثاني واق سنقر عند عزاز مع تعليل أسباب هزيمة المسلمين في هذه المعركة .
- ذكرت الدراسة شروط وأسباب الهدن التي عقدت بين أق سنقر والملك بلدوين الثاني

وخلاصة القول إن أق سنقر البر سقي كان له الدور الكبير في محاربة الصليبيين بل ومن المتوقع أن يخوض العديد من المعارك الحاسمة ضدهم بيد انه تم اغتياله على يد الباطنية سنة ٥٢٠هـ ١١٢٦م .

المصادر والمراجع

أولاً : المصادر العربية :

- ابن الأثير : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني ، ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م .
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، تحقيق عبد القادر طليمات، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ط ١٩٦٣م
- الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، ط ١٩٧٩م.
- ابن تغري بردي : جمال الدين أبو الحسن يوسف تغري بردي الأتابكي ، ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ، ١٩٩٢م .
- ابن الجوزي : أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٢م .
- تلبيس إبليس ،القاهرة ،١٩٢٨م .
- ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد ت ٨٠٨هـ / ١٤٠٥م .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢م .
-الشهرستاني :(أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ،ت ٥٤٨هـ ١١٥٤م .
- الملل والنحل ،٢ج ، دار المعرفة ، بيروت ،١٩٨٠م .
- ابن العديم : كمال الدين أبو القاسم عمر بن أحمد بن هبة الله ، ت٦٧٢هـ/ ١٢٧٥م .

- زبدة الحلب في تاريخ حلب ، تحقيق سامي الدهان ، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق ، ط ١٩٥١م .

- العظيمي : محمد بن علي العظيمي الحلبي ، ت ٥٥٨هـ / ١١٦٣م .

_ تاريخ حلب ،دمشق ،١٩٨٤م .

- ابن القلانسي :ابويعلى حمزة بن القلانسي ، ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م

- ذيل تاريخ دمشق ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ، د (ت) .

- القرماني :ابو العباس احمد بن يوسف ،ت١١٠٩هـ ١٦١٠م .

- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ،مكتبة المتنبي ،القاهرة ،د(ت) .

- القزويني : الإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م.

- آثار البلاد وأخبار العباد ، دار صادر ، بيروت ، د(ت).

المقريزي :تقي الدين احمد بن علي ، ت ٨٤٥هـا ١٤٤٢م .

- اتعاظ الحنفا بأخبار الائمة الفاطميين الخلفا ،تحقيق الشيال ،القاهرة ،١٩٦٧م .

- ابن منقذ : أسامة بن علي بن نصر ، ت ٥٨٤هـ / ١١٩٢م .

- الاعتبار ، تحقيق فيليب حتى ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩م .

-أبو الفدا : الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماة ، ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م .

- تقويم البلدان ، باريس ، ط ١٨٥٠م .

- المختصر في أخبار البشر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧م .

- ابن واصل :جمال الدين محمد بن سالم ،ت٦٩٧هـ ١٢٩٨١م .

- مفرج الكروب في اخبار بني ايوب ،تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة ،١٩٥٣م .

- ابن الوردي : أبو حفص زين الدين ، ت ٧٤٩هـ / ١٣٤٩م .

- تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٩٦م.

- اليافعي :ابومحمد عبدالله بن اسعد بن علي ، ت ٧٦٨هـا ١٣٦٧م .

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان ، ج٢ ، بيروت ، ١٩٧٠م

- ياقوت الحموي : شهاب الدين بن عبد الله ، ت ٦٢١هـ / ١٢٢٨م

- معجم البلدان ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، د (ت)

ثانيا : المصادر الأجنبية المعربة

فوشيه الشارتري

- الوجود الصليبي في الشرق العربي ،ترجمة قاسم عبده ،ذات السلاسل ،الكويت ،١٩٩٣م .

وليم الصوري

- الحروب الصليبية ،ترجمة حسن حبشي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،القاهرة ،١٩٩٤م.

ثالثا : المراجع العربية :

إبراهيم محمد المزيني :

- إمارة حلب بين تصارع القوى الإسلامية ومواجهة الصليبيين ، الرياض ، ط ٢٠٠٣م .

جوزيف نسيم يوسف :

- العدوان الصليبي على مصر ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١٩٨١م.

سعيد عبد الفتاح عاشور :

- الحركة الصليبية ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط٧ ، ١٩٩٧م .

- سهيل زكار :

- مدخل الى تاريخ الحروب الصليبية ،دار الفكر ،دمشق ،١٩٧٥م .

صفاء عثمان محمد :

- مملكة بيت المقدس الصليبية في عهد الملك بلدوين الثاني ، دار العالم العربي ، ط١ ، ٢٠٠٨م .

عبد الغني عبد الفتاح أبو زهرة :

- الهدن والمفاسخات ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ط١ ، ٢٠٠٦م .

عماد الدين خليل :

- الإمارات الأرتقية في الجزيرة والشام ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٠م.

عصام عبد الرؤوف الفقي :

- بلاد الجزيرة في أواخر العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١٩٧٥م .

فايد حماد عاشور :

جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٨٥م .

محمد فرج :

- المدرسة العسكرية الاسلامية ،دار الفكر العربي ،القاهرة ،د(ت).

محمد محمد مرسي الشيخ :

- الجهاد المقدس ضد الصليبيين حتى سقوط الرها ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط ١٩٩٠ .

مسفر سالم الغامدي :

- الجهاد ضد الصليبيين في الشرق الإسلامي ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة ، ط١ ، ١٩٨٦م .

محمود سعيد عمران :

- القادة الصليبيون الأسرى في أيدي الحكام المسلمين ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط ١٩٨٦م .

رابعاً : المراجع الأجنبية المعربة :

- رينيه جروسيه
- الحروب الصليبية ، ترجمة احمد أيبش ، دار قتيبة ، سوريا ، ط١ ، ٢٠٠٢م .
- ستيفن رنسيمان
- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة الباز العريني ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط٣ ، ١٩٩٣م .
- هانس ماير
- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة عماد الدين غانم ، مجمع الفاتح للجامعات ، ليبيا ، ط ١٩٩٠م .

خامسا : المراجع الأجنبية :

Nicholson (B.L) , TheGrowth of the latin states, pennsylvania١٩٥٨-

Setton,(K.M)AHistory of the crusades. pennsylvania١٩٥٨ -